عنود

عبد الكريم الناعم

... وعنود (*) تطلب أن أجيء .. فيستفيق الورد .
تطلب أن أعود فيستفيق الجرح ،
تسهم .. يستفيق الطلُ ،
لائبة تسارقني ،
أباعدها فتقترب النوارس ،
حين تسألني يضج النعنع البري ،
أسألها .. فتجهش ،
تستعيد .. فأستقيل ،
ومثلما الاشواق تقطر بالقلب تمنحني احتراق الخصب،
تأخذني الى الماء البعيد ،
ترد عني الحر ،
ترسمني .. فتنطبق الجفون على الهديل ،
أمد كفا للبراري حين تذهب ،
للطيور أمد قلبي حين تقبل ،
وهي بين ذهابها ومجيئها تبني مدينتها وتحلم بالمحار ،
وآن تصحو لا ترى غير النوارس ،
ثم تبدأ من جديد ،
من حدود تلفتي الصقري ،
من شمم البداوة ،
من مكابرة الجراح تظل تسفر، ثم تسفر، ثم تسفر...
ـ لا أريد سواك ،
ـ طيري ،
ـ أوغلت بي الريح ، أرجعني ،
ـ لانك من بنات الريح طيري ،
ـ سوف تنساني ،
ـ سيبقى البحر ،

(*) عنـود : اسم شائع لـدى البـدو يسكّنون العين ، وشائع لدى مجاوري البادية .
و .. لغة :
العنود : المائل عن القصد
السحابة العنود : الكثيرة المطر لا تكاد تقلع
الرجل العنود : الذي يحل وحده لا يخالط
العقبة العنود : الصعبة المرتقى وهي مائلة عن القصـد بقدر وسحابة ، وتختلط ولا تخالط ، صعبة المرتقى .

ـ أبكي انني أدركت ما يحمله الحلم المهاجر ،
ـ للطيور الريش ، والافق الجميل ،
ـ أجيء في هذا الصباح اليك ، فاترك باب هذا الحان
يا ساقي الرياح ،
ـ أخاف من زبد البحار ،
ـ وأنت تعلم أنني لا بد آتية ،
أسافر ،
أكتوي ،
وأظن أني قد عبرت ،
نبوءة سبقت ، وقلت لي اني اعود ،
وها أنا ....

* * *

وعنود تسبقني ، وتتبعني ،
تجيء الي في زمن القنام ،
تجيء في رمن الرصاص ،
تجيء في زمن المساومة الرديئة .. تحتفي بالمسك ،
تفجؤني الاذاعات الرجيمة باغتراب الارض ، تخطفني ،
وتأخذني بيانات الذين تربصوا بي من بني عمي ..
فترسمني على الماء الحزين ،
الوذ بالصمت المعبأ ..
تكتوي بالجهر ،
اقرأ أسوأ الاخبار عن « عبد بن نفط » ..
تستظل بما تبقى من نخيل ،
حين ترتفع الشرارة .. تستبد ،
تقول لي : « آتي » ، ولا تأتي ،
وآن أغلق الابواب تطرقها ،
وتصرخ بي : « تلفت » .

* * *

يا عنود قتلتني ،
بلدي على كف المساومة « الرذيلة » ،
والذين تستروا بلباسنا البدوي والحضري يقترعون
من يمضي الى حيث «المرابط» لا الخيول ،
يرتلون : « اقرأ » ، وينسحبون من لغة الجهاد ،
ويتركون الله بين الرمل ، « والفانتوم » ،
باسم المال ، والجسد المضمخ .. ينقلون حجار «مكة»
من براءتها الى نجس العمولة ، والدعارة ،
يرفعون كتاب رب هذي الارض ان يرون فيه النفط ،
والنفع المذهب ،
يسرجون لحى تنام على الخيانة ،
يشهرون الدين سكينا لطأطأة الرقاب ،
ويمنحون الارض سارقها ،
الثياب تكاد تسقط ،
ليس بين الكفر والصمت الرجيم مسافة ،
والكفر يكوى بالسيوف ،
الكفر أن تمضي الي صف ، العمالة والبذاءة ،
لا تقل أن التشهد مطهر ،
الق التشهد في ائتلاق الارض ، والانسان ، والشجر
الحزين ،
الكفر ، والشيطان ، والصمت المريب : سلالة ،
و « عنود » تعرف ، والبراري ، والدم المسروق من
طرف
القناة ، المستباح على حقول النفط ،
آه يا « عنود » قتلتني ،
سبق الجنون اليك ،
يا بلد الجنون « عنود » تعرف أي فرق بين دانية
الحتوف ،
وبين دانية القطوف ،
وتستزيد
عبرت الى جسدي « عنود »
قرأت على جدران قلبي ما ترصع بالمرارة ،
شاركتني الحزن ، والحب ، والقت بذرة ..
فدلفت من تلك الازقة حاملا جرحي ،
وأعيتني الحدود
قاربتني ،
اختلطت بي ،
اشرقت والليل مندفع له كفان من نفط ،
ووجه سجدت جبهته للصنم المنحوت من ذهب ،
ومن جسد رخيص ،
واستبقنا ... ،
. . . . . .
آثرت أن تمنح الريح عناوين الكتابة
فهي من مطر سحابة
تمضي ، وترجع بين حد البحر والمطر المجفف ،
بين حد « العيش » والخوف الكبير ،
تجيء زائرة فتخرج من عناق الموت سنبلة لها هيئة
رمح
نبوي في مسافات الغرابه
تمضي ، وترجع .. ،
أمس جاءتني وكنت محاصرا بالقار ، والاسفلت ،
والخطب
الكريهة ، والبيانات الصفيقة ،
كنت في شك من الجدوى ،
وفاجأها المحاق فأشرقت ...

و « عنود » تطلب ان اجيء ليستفيق الورد ،
تطلب ان اعود ليستفيق الجرح ،
لائذة تحرضني ،
وتطلب أن أخلي الباب مفتوحا لتدخل ..

آن جاءتني « عنود »
قفزت من الجدران خارطة البلاد ..
واوغلت في القلب
وانتهت الحدود ...

حمص ـ سوريا